القضية الخامسة

عقيدة الصلب بين المسيحية والإسلام
نحو حوار بناء وكلمة سواء

obeikan.com

obeikan.com

عقيدة الصلب بين المسيحية والإسلام
نحو حوار بناء وكلمة سواء

مقدمة:

من الأمور التي تلفت النظر – خاصة في ضوء كثير من العروضات المبسطة المسطحة – حدة الخلاف بين الإسلام والمسيحية، حول عقيدة الصلب في المسيحية، فبقدر ما تتمسك المسيحية بعقيدة الصلب، واعتبارها رمز المحبة والتضحية والفداء، بقدر ما يشتد إنكار المسلمين لها واعتبارها ضلالًا وافتراءً، ولا يستطيع المشاهد العابر، أمام العروض المشوشة المبسطة، أن يدرك معنًى مقنعًا لأمر هذه الخصومة العارمة، حول حادثة الصلب سلبًا كان ذلك أو إيجابًا.

وإذا كان هذا الخلاف يمتد، عبر طول العلاقة التاريخية بين المسيحية والإسلام وعرضها وكوجه من وجوه أصل العداوة الناشبة بينهما فلا يصح أخذ هذا الخلاف بالبساطة التي يأخذه بها الكثير من الناس، والجزم بشكل قد يبدو اعتباطيًّا؛ مؤيدًا بصحة موقف أو آخر، دون درس ونظر شمولي متأمل، خاصة وأن الموقف القرآني المنكر لعقيدة الصلب، يقف موقف المصدق للنصرانية بوصفها دينًا إلهيًّا، ويقف موقف التكريم والإجلال للسيد المسيح عيسى ابن مريم، وأمّه البتول، مريم ابنة عمران، نبيًّا ورسولًا.

ولعلنا إن شئنا، في مجال فهم شمولي للرؤية الكونية الحضارية القرآنية، وللعلاقة الإنسانية الحضارية بين المسلم والآخر، أن نتعرض لهذا الخلاف الذي يمس أمرًا أساسيًّا هو عقيدة الصلب لدى المسيحيين وذلك في سبيل فهم وحوار بنَّاء أفضل، بين المسيحية والإسلام، واللتان هما الديانتان العالميتان والوحيدتان في العالم المعاصر، واللتان – وبصور مختلفة – هما أساس أعظم حضارتين إنسانيتين عرفهما التاريخ الإنساني حتى اليوم، ولذلك فلا بدّ من دراسة هذه القضية، في هذا المقام، والتعرض لهذه العقيدة، بعناية وعمق، ووضعها في موضعها الشمولي المناسب، في قلب سياق العلاقة والحوار الإيجابي بين الديانتين. خاصة، وأن السبب الحقيقي لهذه المواجهة

الدينية العقيدية، هو في حقيقته خطأ الكثيرين من الطرفين، في فهم جوهر القضية، وعدم الالتفات إلى جوهر هدف مقولات الطرف الآخر بشأنها. ومما يجعل مهمة التفاهم والتواصل أشد صعوبة، هو أن الكهنوتية المسيحية (الكنيسة) لا تكاد تعترف بمشروعية الطرف الآخر الذي هو دين الإسلام، فَبَنَتِ العلاقة معه منذ القرون الأوربية الوسطى على أساس من المواجهة والعداء العقيدي.

وفي نفس الوقت فإن علينا أن ندرك أن العبء الأكبر في إدارة الحوار، حول هذه القضية، إنما يقع على عاتق المسلمين، أصحاب الرسالة الإلهية الشمولية العالمية الخاتمة، لتحقيق التواصل وفتح باب الحوار البناء مع الآخر الذي هو في هذه الحالة هي الديانة المسيحية، خاصة أن الإسلام هو الذي تعرض ابتداءً لعقيدة الصلب بالتفنيد والإنكار.

كيف ندير الحوار:

وأول خطوة لتصحيح قواعد الحوار حول هذه القضية المهمّة، أن يكون جوهر الحوار فيها مبنيًّا على أساس العرض القرآني، الذي أثار هذه القضية في الإسلام ابتداءً، وأن يتم العرض بشكل شامل متكامل لجوانب هذا الحوار القرآني مع المسيحية، وفهم جوانب هذا العرض وغاياته ضمن الظرف الزماني والمكاني الذي وجه فيه الخطاب القرآني، بشأن عقيدة الصلب القرآني بادئ ذي بدء.

وفي خضم المعركة بين الإسلام والمسيحية، التي بدأت منذ القرن السابع الميلادي، وما تزال تستعرض حتى اليوم، رغم أن الغرب العلماني عامة وأوربا خاصة، لم يعودوا يؤمنون في عمومهم بالمسيحية عقيدة، إنما يطلق عليهم وصف (Agnostic) – والتي تعني (لا أدري) – وإن وظفوا الديانة المسيحية في خدمة هجمتهم الاستعمارية فيما لمسناه وما نزال نلمسه من جهود التبشير والاستشراق، وفي انتقاص قدر الإسلام والافتراء عليه، وتشويه صورته وسمعته، وما يقابل ذلك من رد فعل كثير من المسلمين، من ازدراء العقائد الكنسية، والحط من شأنها، لذلك كان لا بدّ لنا أن نتساءل عمّا إذا كانت أصول هذه المعركة بين كثير من أتباع الديانتين حقيقية، وترجع إلى أن القرآن الكريم قد تعرض بالنقد والتصحيح لما لحق بالمسيحية من تحريف وخلل أصاب قواعد بنائها، خاصة فيما يتعلق بقضية تأليه السيّد المسيح وصلبه، وما يترتب على هذه العقيدة من رموز ومفاهيم، كما أن لنا أن نتساءل هل هذه المواجهة بين

الإسلام والمسيحية تهدف إلى الحط من شأن رموز المسيحية، وهل يهدف الإسلام وموقف المسلمين في جوهره إلى مجرد الطعن في مصداقية هذه الرموز الدينية المسيحية والتقليل من شأنها؟ أم أن الأمر في حقيقته أعم وأعمق من ذلك؟ وهل ضراوة الصراع هي التي حجبت جوهر القضايا، وأعمت المتصارعين، عن حقيقة مدلول التعارض والاختلاف؟

وإذا كنا على علم وثقة من عمق معاني القرآن الكريم، وسمو مقاصده، وشمولية عرضه، وتسامحه مع الآخرين، وحرصه على حرية العقيدة والدين، فإنه لا بُدّ لكافة الأطراف من إعادة النظر في فهم حقيقة العرض القرآني، وأن نصحح أخطاء فهم الأطراف له، وذلك بأن نلمَّ بكل جوانبه، حتى يمكننا أن نعلم دلالة الموقف القرآني الجازم، الذي لا تزحزحَ ولا تهادنَ فيه، في أمر إنكار عقيدة الصلب، وما يترتب عليها من عقائد وآثار.

وأول ما يلفت النظر أن القرآن الكريم، الذي يتصدى بالإنكار والتفنيد لعقيدة الصلب، لا يصدر عن روح عداء لصاحب النصرانية، بل إنه يقف منه موقف المجلّ المكرم الذي لا يتوانى عن الدفاع عنه، وعن أمّه، أمام كل أنواع محاولات الحط من قدره وتشويه مقامه، من أي أحد كان، من السابقين واللاحقين.

والعجيب أيضًا أن الإسلام، وهو الدين الذي نزِّل أول ما نزِّل في جوار الوثنيين العرب الذين ليس لهم دراية أو عناية تذكر بدين النصرانية، وهو الأمر الذي يسهل على الإسلام الطعن فيه لو كان موقف الإسلام يصدر عن عداء أو كره للنصرانية أو رموزها، بل نجده – على العكس من ذلك – يعترف لصاحب النصرانية بكل المعجزات والخوارق التي تنسب إليه طفلًا لعذراء، وصاحب معجزات الخلق، وإحياء الأموات، وهي أمور ليس أيسر – في تلك الظروف – على العدو – لو كان الإسلام عدوًّا – من إنكارها والطعن المقْنِع على أدعيائها بالكذب والتزوير والافتراء.

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٤٢]، ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ

وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [آل عمران:٤٥ - ٤٩]، ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم: ٣٥]، ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ ﴾ [النساء: ١٧١، ١٧٢].

بل لا يتردد القرآن الكريم أن يجل ويبجل الصالحين من أهل الكتاب وأتباع النصرانية:

﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٥]، ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۙ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد: ٢٧]، ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فلو كان الأمر أمر ملاحاة وطعن، لكان أولى بالقرآن الكريم، وهو ينزل عربيًّا يخاطب العرب الأميين الوثنيين، أن ينكر على النصرانية دعاوى المعجزات والخوارق، التي لا يسهل على من لم يلمسها بيده ويشاهدها بعينه، أن يصدقها أو يؤمن بها، بل إن كثيرًا ممن عاصروها وشاهدوها من بني إسرائيل انتهوا لأسباب شتّى إلى إنكارها وإنكار مقام صاحبها، وكَيْل النقائص وتدبير التُّهم وحبك المؤامرات لرسول النصرانية ولإتباعه.

ولذلك فإن العجيب حقًّا، أن يسلم القرآن الكريم للنصرانية، بمدهش الخوارق، وعظيم المعجزات، ثم هو ينكر عليها أشد الإنكار، دعوى الصلب، وما يترتب عليها – عند أتباع المسيحية – من عقيدة تأليه السيد المسيح، والذي تمنح تضحيته البشرية العفو والغفران الرباني عما ارتكبه آدم أبو البشرية من معصية، بل وحمل ذريته وزر ما ارتكب من ظلم وعصيان، بحسب ما تقول به حتى اليوم العقيدة النصرانية.

إن من أراد من العرب، أن يهدم النصرانية، عداءً وعدوانًا، فقد كان الأولى به أن يطعن في دعوى تلك الخوارق والمعجزات، خاصة وأنه كان مؤيدًا في ذلك – لو شاء – من بني إسرائيل، وهم قوم السيد المسيح، وبذلك لن يكون الإسلام – لو شاء – هو أول من يطعن في شخص السيد المسيح ورسالته ومعجزاته. إن العقل والمنطق يقضي، أن من كان يريد الهدم والتشويه، ظلمًا وحسدًا وعدوانًا، فليس من الحكمة، أن يطعن في دعوى خير تهدف إلى العفو والتسامح والغفران، ثم هو ذات الوقت، يسلم، في تجلة، لما يصعب على عقل البشر، في مألوف عادتهم قبوله والتصديق به.

إن نبي الإسلام، وما نعلم من سيرته، وإن القرآن وما نتلو من معجز آياته ليسا من الغفلة حتى يقعا في شيء من هذه الأخطاء البشعة التي لا تخفى على عاقل أو تتعارض وما بني عليه القرآن من قيم الحق والعدل والرحمة، وذلك بإقرار ذلك اللون من المعجزات والخوارق، ثم ينكر عقيدة الصلب دون سبب خطير ومقنع.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [التوبة: ٣٣]، ﴿ أَفَمَن يَهۡدِىٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ ﴾ [يونس: ٣٥]، ﴿ وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ ﴾ [الشورى: ١٧]، ﴿ فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

لا بد أن تكون دلالة الأمر الذي يتعرض له القرآن الكريم، أعظم من ذلك، ولا بد أن القضية التي يطرحها الإسلام، على غير الشاكلة، التي ينحدر إليها الجدل، وتنتهي إليها الملاحاة بين أتباع الديانتين، وينجم عنها كل ذلك القدر من العداوة وسوء الظن.

القضية – كما تبدو من العرض السطحي– كما يتوهمها النصارى، أن الإسلام

برفضه عقيدة الصلب، التي تصور الصلب تضحية عيسى الابن، لتكون تلك التضحية العظمى، سببًا في غفران الخطيئة الأولى، التي ارتكبها الإنسان، والتي بقي الإنسان يحمل أوزارها وكانت سببًا في غضب اللَّه على بني الإنسان، وكأن الإسلام بذلك الرفض – في نظر المسيحيين – يرفض ما تتضمنه وتهدف إليه عقيدة الصلب – في مفهوم الكنيسة وأتباعها – من روح الحب والتضحية والتسامح والغفران.

وبغض النظر عن أي اعتبار آخر، فإن من كان على أي قدر من معرفة بالقرآن الكريم، فإنه لا يمكنه أن يسلم لأحد بمثل هذا الفهم بأن القرآن يرفض روح التضحية والتسامح والغفران أو ينكرها ويهدمها.

لذلك ولإدراك عمق هذه القضية، فإنه لا بدّ لنا من نظرة شمولية لنصوص القرآن الكريم، إلى النصرانية وإلى السيد المسيح، وإلى عقيدة الصلب، وما يراه الإسلام فيها ويوجه خطابه بشأنها، على أساس من عرضه، وسياقه، وتكامل نصوصه، متوخين أن لا يتم ذلك العرض، على أساس تصور مسبق، يستمد روحه من أدبيات الإسرائيليات ورفض اليهودية للنصرانية وصاحبها والطعن في مقامهما.

ومن الواضح أن الإسلام يعترف بالنصرانية، ويجلّها ويجلّ صاحبها، ويبوِّئه وأمَّه أعلى مقامات التكريم الإسلامي، بوصفه رسولًا أمينًا صاحب رسالة، ويصدقه ويذود عنه ويحترم رسالته التي يجلّها القرآن الكريم بخاصة يجل فيها معاني المحبة والرأفة والرحمة.

فما هو على وجه الحقيقة موطن الخلاف وسوء الفهم والظن؟ إن من المهم أن ندرك أن الإسلام بإنكاره عقيدة الصلب بمعنى الموت على الصليب، لا ينكر بالضرورة واقعة الصلب وأنها وقعت حقيقةً وبقصد القتل. ولكن ما يقرره الإسلام أن عيسى عليه السلام لم يقتل صلبًا، وهذا لا يعني أن عيسى عليه السلام في السياق القرآني لم يوضع على الصليب، ولكن القرآن بالرغم من ذلك وبالرغم من تقبله أن عيسى عليه السلام قد وضع على الصليب إلا أن القرآن يؤكد أن السيد المسيح لم يمت صلبًا على الصليب، وبالتالي فإن تلك التضحية المزعومة لم تقع، وبالتالي فإن الأمر المهم هنا ليس أمر واقعة الصلب، ولكن الأمر المهم أن اعتبار قتل الإنسان للسيد المسيح صلبًا والتضحية به، وهو السبب المزعوم في زوال سخط اللَّه على آدم وذريته لما ارتكب من معصية وأن صلب الإنسان للسيد المسيح كان مجلبة لرضى ووسيلة إلى عفوه

وغفرانه للإنسان، هو أمر لم يقع، وبالتالي فإن عقيدة الصلب، عقيدة وهمية، مبنية على خلط ووهم.

إن التسليم بأن تكون جريمة الإنسان الثانية والأبشع والأكبر وهي قتل السيد المسيح قصدًا من قبل بعض البشر – الذي تزعم المسيحية الكنيسة أنه قتل صلبًا بالفعل – اعتبار ذلك عندهم وسيلة مقبولة للعفو والغفران الإلهي لجريمة العصيان الأولى التي ارتكبها الإنسان، وينفون بذلك – أو يتعامون أو يتجاهلون – صفة الجريمة عن قصد قتل « اللَّه وابن اللَّه » (السيد المسيح) ظلمًا وعدوانًا وإنكارًا لدعوة الحق، بل وللعجب يعتبرونها مرضاه للرضى والغفران.

لماذا يتصدى القرآن لعقيدة الصلب:

وسبب الإنكار الإسلامي لهذه القضية والنتائج المترتبة عليها، يسهل فهمهما، إذا أدركنا، مركزية موضع العدل، في ميزان الرسالات السماوية، وخاصة في ميزان الإسلام، وميزان النسيج القرآني. وعلى أساس من هذا الميزان يسهل إدراك أن فكرة المكافأة لجريمة القتل البشعة الكبرى، التي تمثل جوهر عقيدة الصلب، تتنافى وطبيعة الشهادة القرآنية وميزانها؛ لأنها تنافي أبسط قواعد العدل الإلهي، وأهداف الرسالات السماوية، وأساليبها في هداية البشر وتقويمهم.

فالغفران في ميزان العدل لا يكون بمكافأة الجريمة والعصيان، وإلا فلماذا كان الغضب الإلهي على من ارتكب الجريمة الأولى ووقع في العصيان ابتداءً، بل ويلاحق الغضب ذرتيه من بعده.

إن العدل في الغفران لا يكون مفهومًا إنسانيًا إلا بإحدى طرق أربع، الأولى منها الغفران بوقوع العقاب، والثانية: أن يتقرّب العاصي بالطاعة والإحسان، والثالثة: أن يكون بطلب التوبة والغفران، والرابعة: أن يقع الغفران في أشد الحالات كرمًا وإنعامًا، وذلك بصدور العفو من صاحب الحق والقدرة مبادرة منه، ودون طلب من الجاني أو طمعًا من المسامِحِ في مصلحة أو مقابل.

أما أن يكون العفو الغفران، مكافأة لمزيد من الجريمة والأذى والعصيان، فذلك ليس من طبيعة العدل أو وسيلة مفهومة أو مقبولة من وسائل العظة والعبرة وهداية البشر.

وإذا كان القرآن الكريم يؤكد أن السيد المسيح لم يمت ولم يقتل صلبًا، بل شبِّه ذلك للناس وبدا لهم ذلك الأمر ظاهرًا، وهو على الحقيقة غير ذلك؛ وبذلك لا مجال لحديث يجافي روح العدل والمسئولية، بالحديث عن العفو والغفران، ولذلك نجد أن القرآن الكريم يؤكد أن السيد المسيح لم يمت أو يقتل حقيقةً في حادثة الصلب ورد اللَّه عن نبيه كيد بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

مما سبق يتبين أن الخلاف والصدام بين النصرانية الكنسية والإسلام القرآني بشأن عقيدة الصلب لا يتعلق بالجوهر في صدام حول معاني الخير والتسامح أو لا خلاف في أمرهما، ولكن الخلاف بينهما هو فقط في تحديد الوقائع المادية ودلالاتها، وفي أسلوب توجيه الخطاب بشأنها وشأن العبرة منها.

ففي الجوهر لا نزاع في أن الإسلام يجلّ النصرانية رسالة سماوية مطهرة من عند اللَّه ويجلّ فيها معاني المحبة والتسامح والغفران.

﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٢١]، ﴿ فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد: ٢٧]، ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧]، ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ [النساء: ١٥٧] [(١)].

---

(١) توضيحًا لما أبداه بعض القراء على ما ذهبت إليه في فهم هذه الآية، كان لا بد من هذا الشرح المفصل بعض الشيء لكيفية فهمي لهذه الآية الكريمة على غير ما قال به – من وجه أو آخر – المفسرون، وذلك يفهم في حدود لفظ الآية وكل ما يتعلق بالقضية التي أتناولها منها، وهي هنا قضية حادثة قتل السيد المسيح، عليه الصلاة والسلام، وصلبه، وبكل ما تعلق بها من القرآن الكريم، مع الالتزام بقواعد اللغة العربية، واعتبار معنى كل لفظ هو معنى مباشر، إلا إذا اقتضى السياق المجاز في المعنى.

ومن قواعد اللغة العربية المتعلقة بفهم هذه الآية الكريمة، أن الضمير يرجع إلى أقرب لفظ يتعلق به، ما لم يقتض النص غير ذلك. =

.....

= والآية هنا تنص على أن أعداء السيد المسيح ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: ١٥٧] ويجب أن نلاحظ هنا أن الآية بدأت بنفي القتل ثم عقبت على ذلك أنهم (ما صلبوه).

ومن المعلوم من نص الآية، أن أعداء سيدنا عيسى، أرادوا قتله بواسطة الصلب، ولذلك ذكر الصلب الذي هو أحد أدوات التعذيب والقتل بأبشع الصور، وبصورة علنية إرهابية.

ثم نجد الآية بعد ذلك تؤكد أنهم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ وإذا تمعَّنا في ألفاظ الآية فهي لم تنف الصلب، ولكنها نفت « القتل » بل ومن المهم أن نلحظ أنها أضافت كلمة ﴿ يَقِينًۢا ﴾. دلالة هذا التأكيد أن حسبوا أنهم فعلوه – أي القتل – لم يكن صحيحًا، وإنما كان ظنًّا، وليس حقيقة، والآية قد وضحت هذا المعنى حين ذكرت أن أعداءه اختلفوا في شأن واقعة قتل السيد المسيح بقول الآية: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۖ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ﴾ [النساء: ١٥٧] أي أن كل ما لديهم بهذا الشأن ليس علمًا ولا يقينًا، بل هي ظنون، ومن يطلع اليوم على مجمل ما قالوا به عن مقتل السيد المسيح إنما هو تناقضات هائلة تكذب بعضها بعضًا، وتنفي بعضها بعضًا، مما لا يمكن معها القول إلا أنها ظنون، هي أقرب إلى التخريفات.

والسؤال هنا ما معنى قول الآية وسياقها: ﴿ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴾ [النساء: ١٥٧] على ضوء ما ذكرنا فيما سبق، من قواعد اللغة االعربية بشأن الحقيقة والمجاز، وفي الوجه الأول في أمر عودة الضمائر، بالتالي لا محال لاستدعاء أي أمر لا وجود له في النص أصلًا ولا حاجة له لفهم المقصود، ولا يستوجبه السياق.

والذي خلصت إليه على ضوء ما سبق من قواعد، هو أن الذي شبه لأعداء السيد المسيح الذين أرادوا قتله، حين صلبوه هو موته على الصليب؛ لأنه في الحقيقة لم يمت، وهو أمر وارد عقلًا، خاصة في ظروف الحادث وفي حالة شخص السيد المسيح، في تلك العصور الحضارية الغابرة، بل والمؤسف – حتى عصرنا الراهن مع إمكانات العلوم الطبية – حدوث مثل ذلك.

كما أنني لم أجد في القرآن الكريم، في أي موضع منه لا في الآية الكريمة ولا في أي آية أخرى، ذكر إلى أي شخص أو اسم، لا يهوذا ولا سواه من عديد الأشخاص التي أوردتها الروايات الإسرائيلية أو المسيحية عن من قتل شبيهًا للسيد المسيح وبديلًا له.

ومن المؤسف أن يقع كثير من كبار المفسرين ومشاهيرهم، في الماضي والحاضر؛ مثل القرطبي وابن كثير وتفسير المنار وسواهم، في الرجوع لفهم قصص القرآن، في من ورد ذكرهم من أنبياء الأمم الغابرة ورسلهم، إلى كتب الأدبيات اليهودية (الإسرائيليات) والمسيحية، رغم أن القرآن الكريم والرسول ﷺ أكدا على الإنسان المسلم الاكتفاء في هذا الشأن بما أورده القرآن وإدراك ما هدف إليه القرآن الكريم – من إيراد هذه السير – من دروس وعظات، ونهاهم عن اللجوء إلى مرويات أهل الكتاب، خاصة الإسرائيليات التي امتهنت سيرة أنبيائهم، وناصبت السيد المسيح العداء، ودنست عرض العفَّة الطاهرة السيدة مريم أم السيد المسيح.

يقول اللَّه ﷻ في كتابه العزيز يصف القرآن ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود: ١] ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩] ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت: ٤٢].

ومع كل ما ورد بشأن القرآن الكريم من وصف وتوضيح، ومع ذلك يقول اللَّه ﷻ في نص القرآن الكريم =

.....

= ذاته ﴿ ءَايَٰتٌ (مُّحۡكَمَٰتٌ) هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ (مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا (تَشَٰبَهَ) مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ (ٱلۡفِتۡنَةِ) وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

فإذا فهمنا لفظ **متشابه** على أنه غائم أو غير واضح، فإننا بذلك نقول بوعي أو غير وعي، أن القرآن الكريم يناقض بعضه بعضًا ففي موضع يقول بأنه ﴿ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ ثم هو يقول في موضع آخر أن بعض آياته لم تحكم، بل هي غائمة وغير واضحة الدلالة ﴿ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ ﴾.

ولا يقول بذلك مسلم أو عاقل تدبر آيات القرآن الكريم، وهنا لا بد أن من يقول ذلك من المسلمين، هو غير واعٍ لمعنى ما يقول، وهو بذلك قد جانبه الصواب.

والذي يتدبر مجمل الآيات، لا بد وأن يدرك الفرق بين لفظ ﴿ أُحۡكِمَتۡ ﴾ وبين ﴿ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾ فلفظ ﴿ أُحۡكِمَتۡ ﴾ يعني سلامة البناء، وبذلك فإن القرآن الكريم الذي بني بناءً سليمًا لا خلل فيه ولا اعوجاج، ويصبح الأمر هنا، أن معنى ﴿ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾ في مقابل ﴿ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ ﴾.

ولذلك فإن معنى كلمة « محكمة » إذا أصبح الفهم فإنه بالتأكيد لا ينفي أن الآيات « المتشابهات » هي آيات « أحكمت ».

فما هو المعنى الحتمي الذي يوضح طبيعة القرآن الكريم، وإحكام جميع آياته، وينفي أي قول بأي تناقض في مقولات القرآن الكريم.

والمعنى الصحيح – كما أرى – الذي يحقق تلك الغاية، ويصح الفهم، هو أن بعض آيات القرآن الكريم ﴿ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾ وهي التي تتعلق بتقرير « القيم » و « المبادئ » و « المقاصد » و « التشريعات » التي جاءت بها الشريعة الخاتمة إلى الإنسانية؛ كتحريم الكبائر، وتحريم الغش وتحريم الكذب إلى غير ذلك من المبادئ والقيم والمفاهيم، إلى أن يرث اللَّه الأرض وما عليها، وهي بالطبع موضع تسليم وقبول، لا مجال فيه للجدل.

أما الآيات « المتشابهات » فمن الواضح من سياق الآية الكريمة أنها الآيات المتعلقة بسير الأمم والحضارات البادئة وسير سالف الأنبياء والرسل، وما تحمله تلك السير من دروس وعبر للإنسان.

وبالتالي فإن هذه الآيات « يتشابه » موضوعها بما لدى الأمم الأخرى وخاصة أمم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وخاصة ما عرف بعد ذلك بـ « الإسرائيليات ».

فالتشابه هنا هو « موضوع » القصص القرآني « المحكم » عن الأمم الأخرى، من قصص وروايات تلك الأمم، والتي شوهتها الأساطير والتناقضات، والتي تنهى الآية القرآنية عن الرجوع إلى روايتها.

ولذلك حذرت الآية الكريمة ونهت عن تجاوز نص الآيات القرآنية وما هدفت إليه من دروس وعبر، واللجوء إلى تأويلات وإضافات تستقى من تلك الأساطير والتشوهات، ليكون ذلك مدخلًا لأصحاب الأغراض والأمراض للفتن والضلالات؛ لأنها قصص تتعلق بتاريخ مضى، ولا سبيل لطلاب المعرفة إلى معرفة حقائقها الصحيحة الكاملة، لاندثار تلك الأمم والممالك وتشوه ما بقي من سيرها وتحريفه، وهو واقع ما نراه في الأدبيات اليهودية والنصرانية، من تشوهات أسطورية وتناقضات واسعة، أدت إلى ما نرى من =

ولا ينازع أحد في أن النصرانية الحقة، دين رباني، ورسالة في ذلك الوقت إلى من قست قلوبهم من بني إسرائيل – وهو أمر يقره القرآن الكريم – يقرأ أيضًا رسالة سماوية وبذلك لا يمكن أن تقصد إلى إنكار العدل والمسؤولية وإباحة الجريمة أو المكافأة عليها أو إلقاء الحبل على الغارب للإنسان، ليتمادى في الجريمة والمعصية، والبعد عن اللَّه، وأن تشجعه على المبالغة في أذى الناس ومحاربة الحق وقتل الأنبياء والأبرياء.

إن الخلاف بين المسلمين والنصارى على صورته الشائعة، لا يعكس أو يعبره عن لا العرض القرآني ولا المعاني القرآنية، والقضايا الأساسية، التي يهدف إليها القرآن، من تصحيح حادثة الصلب، وما يترتب على ذلك من رفض عقيدة الصلب، لما في تلك العقيدة من دلالات غير منظورة ولا مرغوبة غاب عن أتباع الكنائس النصرانية البال وعميت عنها الأنظار.

إن كلا الطرفين (أهل الإسلام وأهل النصرانية) على اتفاق في الغايات والمعاني وإذا كان من خلاف، فإنما ينتج عن أخطاء تتعلق بأسلوب الخطاب، ولذلك فإن من المهم في هذا الحوار أن يفهم غاية كل فريق من الفريقين، وأسلوب كل عرض من

= تخلي أتباع هذه الديانات – في العصر الحاضر – إلى هجرها، وإحلال الرؤى المادية الوضعية اللبرالية موضعها مع كل ما يترتب على ذلك من أمراض اجتماعية، وممارسات عالمية عدوانية.

ولذلك فإن من المؤسف، أن الكثير من المفسرين لجأوا – وبتوسع – إلى هذه الأدبيات و « الإسرائيليات »، وهو منهج يجب – بنص القرآن الكريم – أن ينتهي ونحن نعلم اليوم آثار هذه التشوهات، في حياة الأمة الفكرية والعقيدية، والتي هي من أهم أسباب ما انتهت إليه حضارة الأمة الإسلامية وحال فكرها وأدائها من موات وتخلف.

لكل هذا رأيت أن من الواجب التزام المنهج الفكري الإسلامي الصحيح، بالتزام نص القرآن الكريم دون اللجوء لأي نص أو تفسير، لا يوجد في القرآن الكريم أي إشارة أو إحالة إليه.

أعتقد أن ما ذهبت إليه في فهم الآية أصلح وأولى منهجًا، لنفي الظنون والتخرصات التي تخدم إلى صيغة عقيدة الصلب، وما يتبعها من تشوهات فكرية ومفاهيمية، وهو منهج يرسي في ذات الوقت قواعد العدل والمسئولية الإنسانية، فلا يعاقب عندئذ أحد دون ذنب، ولا يثاب مجرم بشيء نظيرًا لما ارتكب من جرم.

أرجو أن يكون ما قصدت إليه في فهم الآية الكريمة واضحًا، ليس لأهمية قضية الآية الخاصة بعقيدة الصلب وحدها، ولكن لأهميتها فيما وراء ذلك في توضيخ بعض جوانب المنهج الصحيح الذي هدفت إليه لفهم القرآن الكريم وفهم غاياته وقيمه ومبادئه، لإعادة تنزيلها على واقع العصر وتحدياته، استنهاضًا للأمة، وخدمة للإنسانية.

العرْضين، ومنهجهما، وتصحيح مسار علاقة التقدير والمودة التي تنجم عن أصل حسن النوايا وحسن القصد وعن أصل الإيمان المشترك للإفادة من الحوار وتصحيح ما يستحق التصحيح من المناهج والأساليب والتعابير، تحقيقًا لغايات الإفادة من عطاء هذه المناهج في سعي كل من الطرفين نحو الحق والخير، فليس من العقل، ولا من العدل، ولا من الحكمة، مجانبة الصواب، والإصرار على الخطأ.

ولعل ما سبق من توضيح لغايات الاستدراكات القرآنية على مفردات عقيدة الصلب يؤدي إلى تخطي عوائق الفهم، ويفسح المجال للسعي نحو الحوار البنَّاء، وفهم كل طرف لأسلوب خطاب الطرف الآخر، والغايات الخيِّرة الكامنة في ثناياه، كما يفسح المجال لعرض أكثر تكاملًا وتناغمًا للعقائد والمناهج وأساليب العرض بين الإسلام والنصرانية.

فعقيدة الصلب النصرانية، وما ترتب عليها، تمثل في منطق الإسلام إشكالية كبرى حين تنتهي إلى عقيدة شركية، والقول بـ « التثليث » بديلًا لعقيدة الكمال الإلهي وتنزيه التوحيد، حيث يجعل التثليث السيدَ المسيح عيسى ابن مريم – بشري الهيئة وصفاتها – لخوارقه التي منحه اللَّه، على سالفة ما منح سواه من الأنبياء والرسل، إلهًا، وتجعل الإله – جل شأنه – موزعًا بين الهيئة البشرية، في شخص السيد المسيح، والإطلاق والتجريد في هيئة « الأب » في هيئة ثالوث عجيب ومحير في هيئته وغايته ودلالاته.

وعقيدة الصلب تسبب في منطق الإسلام أيضًا مشكلة أخرى – إلى جانب هدم مبدأ العدل – فإنها تهدم مبدأً آخر مهمًّا من مبادئ الفطرة الإنسانية، وهو مبدأ المسؤولية، والذي يعدّ من أهم مبادئ الإسلام وقواعده الأساسية اللصيقة بمبدأ العدل، فكل إنسان في منطق الإسلام مسؤول عن عمله، وقيمته تكمن في عمله وإرادته، لا في لونه أو عرقه أو نسبه، ولكن عقيدة الصلب حتى تبرر جريمة الصلب، تلغي مبدأ المسؤولية، وتحمل – فوق ذلك – الأبناء وزر الآباء، ومسؤولية تلك الأوزار، وهي بذلك تهدم العلاقة الإنسانية السوية بين الجريمة والعقاب، كما تقلب مفهوم التضحية بوصفه تعبيرًا ساميًا عن معاني المحبة الإيجابية الخيرة نحو المحبوب، إلى وسيلة لتبرير أعمال الشر والجريمة والأذى ونوازعه، وإضفاء المشروعية عليها –

بمنطق غير إنساني وغير مفهوم.

وبغض النظر عن تناقضات منطوق عقيدة الصلب كما هي بين أيدينا اليوم، فإن الإسلام في خطابه لتصحيح هذه العقيدة لا يختلف مع المسيحيين في سمو قيم التسامح والعفو والمحبة؛ لأن اختلاف الإسلام – في الحقيقة – معهم بشأن عقيدة الصلب، إنما يتعلق بما يكمن في منطوق تلك العقيدة من تناقضات مع أساسيات الفطرة الإنسانية ومع أساسيات المنطق الإنساني السليم – بغض النظر إن تم ذلك بقصد أو بدون قصد بدلًا من ترشيدها، وبأسلوب ومنطق مفهوم ومقبول من الفطرة الإنسانية السوية.

لا خلاف في الجوهر:

إن الإسلام يتفق مع النصرانية في الكليات – ومع كافة ما سبق من أديان إلهية – فهو يعترف بألوهية الإله، وهو يعترف بالخوارق ومعجزات من سبق من الأنبياء، وهو يعترف بخطيئة الإنسان، وهو يعترف بالتسامح والغفران ويدعو إليهما، ولكن الإسلام في خطابه القرآني لتصحيح عقيدة الصلب يعيد رصف هذه المعاني والمفاهيم في منظومة تعبر عن عقيدة التوحيد الإلهي الخالص، وتتسم بالتناسق والتكامل، وتستجيب للفطرة الإنسانية وتسخرها لتحقيق غاياتها النبيلة التي تهدف إليها كافة الأديان السماوية غير المحرفة، في إرساء قواعد العدل والمسؤولية إلى جانب قيم المحبة والتسامح جنبًا إلى جنب.

ولمزيد من وضوح الصورة فقد يكون من المفيد أن نستعرض كيف عالج القرآن الكريم هذه العلاقات، وكيف بسط هذه القضايا، متوخيًا – في دقة – مبادئ التوحيد والفطرة. فالإسلام يعترف مثله كمثل النصرانية بألوهية الإله (اللَّه)، ولكنه يحافظ فيها على مبدأ التوحيد، ويبقي لها طبيعة الإطلاق والتجريد، منزهة عن محدودية المادة وسوءاتها وانحطاطها وقذارتها، تعالى اللَّه عما يصفون.

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤]، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ

إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ ﴾ [النساء: ١٧١].

والإسلام يُرجع قدرة إبداع الخلق للَّه وحده وكل ما عداه فإنما يستمد القدرة منه، والخوارق والمعجزات إنما هي من نوع قدرته وإعجازه في خلق الكون، يستوي في ذلك كل الخلائق والحوادث، ما اضطرد أقدارها وسننها وما لم يضطرد على يد الأنبياء والرسل. ولذلك فإن الخوارق من أمر السيد المسيح لا تغيّر من كونه خلق من خلق اللَّه، وبعض من خوارق آياته، أيده فيها بـ « روح القدس » الذي هو من أمر اللَّه وقدرته، دون مساس بإطلاق ذاته الإلهية وتنزيهها عن قيد المادة المخلوقة وحدودها وسوءاتها.

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ ﴾ [البقرة: ٨٧]، ﴿ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾ [آل عمران: ٤٩]، ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ ﴾ [المؤمنون: ٥٠]، ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [غافر: ٦٢].

والإسلام يرى في غاية خلق الإنسان الابتلاء والامتحان والمسؤولية التي يقرر به كل فرد من بني الإنسان موضعه ومصيره العادل « فكل شاة معلقة من عرقوبها » ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ

أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٩]، ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٢، ٢٣]، ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ [طه: ١١٧، ١١٨]، ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢١ - ١٢٤].

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة: ٤٨]، ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

والعدل والمسؤولية لا يناقضان معاني الرحمة والعفو والغفران فكلها من أصل طبع الإنسان وهي من وسائل تزكيته وتصفية معدنه فالخطأ والذنب وما يترتب عليهما من حس المسؤولية مدعاة للذكر والتوبة والتواضع وطلب العفو والمغفرة؛ ومجلبة للرحمة والعمل الصالح.

﴿ فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٢١]، ﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد: ٢٧]، ﴿ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٦، ١٠٧]، ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧]، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]، ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

الواضح من سياق العرض السابق أن كلتا الديانتين تنبعان – في أصلهما – من نبع واحد، تتحد مرتكزاتهما وتتفق مقاصدهما وغاياتهما، إلا أن الإسلام الذي لم يلحق كتابه وأصل رسالته السماوية الخاتمة أيُّد تحريفات مما لحق ما سبق غيره من سابق الرسالات، – لوجه الحق يتصف بضبط التركيب وتناسق الأجزاء وإحكام العرض ودقته وصفاء الرؤية ووضوحها، وهي ميزة يجب أن لا تسوء أحدًا بل يجب أن يكون ذلك من دواعي إيجابية العلاقة بين الإسلام والنصرانية وسواها من بقايا الرسالات، مما يستدعي مشاعر احترام وحدة الغاية وتقدير مساحة المشترك وتنمية مشاعر التسامح وحسن الحوار والتصدي للمشاعر الجائرة في النفرة والعدوان، والسعي الدؤوب المشترك للقاء على دروب الخير والحق وسمو المقاصد.

* * *

Open Kan.com

اَلسِّيرَةُ اَلذَّاتِيَّةُ لِلْمُؤَلِّف

الدكتور/ عبد الحميد أحمد محمد أبو سليمان.

- من أبناء مكة المكرمة، ولد بها عام (١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م).

- تحصل في مكة على تعليمه الابتدائي والثانوي، وتخرج في مدرسة تحضير البعثات سنة (١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م).

- حصل على بكالوريوس التجارة في قسم العلوم السياسية عام (١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م)، من كلية التجارة بجامعة القاهرة.

- حصل على درجة الماجستير في العلوم السياسية من كلية التجارة بجامعة القاهرة، سنة (١٣٨١هـ / ١٩٦٣م).

- وحصل على درجة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة بنسلفانيا بفيلادلفيا في الولايات المتحدة عام (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

- عمل أمينًا لاجتماعات المجلس الأعلى للتخطيط بالمملكة العربية السعودية، ثم عضوًا في هيئة التدريس بكلية العلوم الإدارية (كلية التجارة سابقًا) في جامعة الملك سعود بالرياض (جامعة الرياض سابقًا)، ورئيسًا لقسم العلوم السياسية فيها.

- من مؤسسي اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، والاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية، ورئيس مجلس الإدارة الأسبق لمدارس منارات الرياض.

- الأمين العام المؤسس للأمانة العامة للندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض بالمملكة العربية السعودية، الرئيس الأول والمؤسس للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، والمدير العام السابق للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، والرئيس المؤسس لمؤسسة تنمية الطفل، والمؤسس والرئيس السابق لجمعية علماء الاجتماعيات المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا، ومؤسس ورئيس سابق للمجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الإسلامية.

obeikan.com

- مؤسس ومدير الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا (١٩٨٨م - ١٩٩٩م).

- رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

- صاحب ومدير عام مكتب دار منار الرائد للاستشارات التربوية والتعليمية (الرياض)، (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

- له عدد من الكتب والأبحاث والأوراق العلمية والفكرية التي تهتم - من المنظور الإسلامي - بالتغيير وبالجوانب الإبداعية الإصلاحية للأمة في العقيدة والرؤية الحضارية الإسلامية، وفي الفكر والمنهج والثقافة، وفي التربية والوجدان المسلم.

- من مؤلفاته: « نظرية الإسلام الاقتصادية: الفلسفة والوسائل المعاصرة » (١٩٦٠م)، و « النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية: اتجاهات جديدة للفكر والمنهجية الإسلامية » (١٩٧٣م)، و « أزمة العقل المسلم » (١٩٨٦م)، وبالاشتراك « إسلامية المعرفة: الخطة والإنجازات » (١٩٨٦م)، و « العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي بين المبدأ والخيار: رؤية إسلامية » (٢٠٠٢م)، و « أزمة الإرادة والوجدان المسلم » (٢٠٠٤م)، « الإصلاح الإسلامي: الثابت والمتغير، تجربة الجامعة الإسلامية » (٢٠٠٤م)، « الإنسان بين شريعتين » (٢٠٠٥م)، « جزيرة البنائين: قصة عقدية تربوية (للصغار والكبار) » « كنوز جزيرة البنائين: قصة عقدية تربوية (للشباب والكبار) » « إشكالية الاستبداد والفساد في الفكر والتاريخ الإسلامي » (٢٠٠٧م) « بين الأصحاب والأعراب: الرؤية الكونية القرآنية الحضارية » (٢٠٠٧م) و « ضرب المرأة: هل هو الفهم الصواب لحل الخلافات الزوجية؟ رؤية اجتهادية قرآنية معاصرة » (٢٠١٠م). .

* له إسهامات مهمة في إقامة عدد كبير من المؤتمرات والندوات الفكرية والثقافية العالمية، والمحاضرة فيها، وتقديم الأوراق الفكرية وكتابة أوراق عملها، واقتراح الكثير من توصياتها.

* * *

رقم الإيداع ٢٠١٠/٢٢١٠٤

الترقيم الدولي I.S.B.N 978-977-342-975-1

هذا الكتاب

يتناول عددًا من القضايا المهمة التي تؤسس للإصلاح الإسلامي الإنساني، تستعيد بها الأمة مكانة العقل والتفكير المنهجي في تحقيق مقاصد الشريعة، وتعيد بناء مناهج التربية والتعليم لتحقيق الأصالة الإسلامية المعاصرة. كما يقدم إعادة نموذجية لقراءة الأنظمة الإسلامية قراءة منهجية، تزيل ما أصابها من تشوه، وتجسِّد بذلك نموذجًا جيدًا للأصالة المعاصرة. ويعرض كذلك قواعد الحوار والتواصل بما يحقق الغايات الإنسانية الراشدة لعالم تسوده روح الإخاء والعدل والسلام.

كما يضع هذا الكتاب بين يدي القارئ الكريم تجربة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وما قدمت من إصلاحات منهجية غير مسبوقة في الفكر التربوي والتعليمي والبحث العلمي وتأهيل الكوادر الفكرية والمهنية؛ مما أهل هذه الجامعة العالمية لمكانة عالمية مرموقة، ويقدم أيضًا مزيدًا من الإصلاحات والتطوير للتعليم عامه، والجامعي على وجه الخصوص.

Dar-Alsalam Designs

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية

هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٠٠٢٠٢+)

الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٠٠٢٠٣+)

www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

ISBN: 978-977-342-975-1

obeikan.com